١

الله

ما رأيت لفظاً استفاد من جلال معناه ما استفاده هذا اللفظ ، فإنك لا تنطق به حتى ينفتح له قلبك ، وينشرح صدرك . ولا يخرج آخر حروفه من جوفك إلا مصحوباً بهزّة تنبعث من صميم القلب فتصل إلى أطرافك وكأنها خالطت دمك فجرت مجراه ودارت دورته .

هو لفظ يكفى فى جلاله أنك لا تستطيع أن تخفيه أو تُجمجم[١] به ، لأن أوله همزة تنفتح لها لهاتك[٢] وآخره هاء لا تنطلق إلا من أعماق قلبك . فلا ينطق به ناسٍ إلا تذكّر ، ولا مُهَوِّم[٣] إلا استيقظ ، ولا ذاهل إلا صحا . وما عهدنا غيره من الألفاظ يحوى كل معنى ويدل على كل مراد ويترجم عن كل سر ويجلو كل عظمة ، حتى كانت الدنيا وماحوت ، والعوالم وما شملت . لا تزن فى جنبه جناح بعوضة . فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

أرأيت الناس وما اختلفوا فى مللهم ونحلهم ، وما سلكوا من شعاب حقهم وباطلهم ، كيف أدّت بهم سبلهم على قصد وغير قصد إلى حظيرة الله ؟ ألم يقل صابئة النجوم ومجوس النار وعبدة الأصنام : مانَعْبُدُهُمْ إلاّ

---

(١) الجمجمة عدم أبانة الكلام فى النطق (٢) اللهاة لحمة مدلاة عند مدخل الحلق

(٣) المهوم الذى يحرك النوم رأسه

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى . فالله هو قُدُّوسهم الأمجد . وغايتهم التى لا تنعدد . ولكنّ ضعف همتهم ونقص عقولهم ومهانتهم فى أنفسهم خَيَّلَتْ إليهم الالتجاء إلى الوسيط . ولم يعلموا أنه منهم قريب ومن ورائهم محيط .

أما أهل الإلحاد من الفلاسفة فهم مهما تباعدوا من الأديان . شديدو القرب إلى الإيمان ، لأنهم أكبروا مدبر هذا الكون وما فيه من جليل الآثار . فلم يرضَوا بزعمهم أن يقولوا : إله . ولكن قالوا : طبيعة . وأضافوا إليها من لوازم القوة والقهر والإحاطة والشمول مايكفُل لهذا النظام البديع اطّراداً ، ويضمن لتدبيره سَداداً . فطبيعتهم فى لغة جهلهم وعنادهم وسوء أدبهم هى الله فى لسان العابدين القانتين التائبين

ألست ترى من الناس إجماعاً على الحق وإن أبوا إلا اختلافاً ، ووحدانية لله وإن لم يرض بعضهم إلا فسوقاً وانحرافاً .

فالله الله أيها الناس فى عقولكم . وفى دنياكم وآخرتكم .

٢

محمد

كلمة لم تبق أذن إلا سمعتها . ولا شفة إلا تحركت بها . وإن البطولة الهائلة والعظمة المتناهية أن يكون لاسم البطل دوىّ بكل مكان . وخفة على كل لسان .. ذلك هو محمد الذى نصلى عليه ونسلم لأنه كان رسول هذه الهداية التى نعم بها المسلمون فجمعت كلمتهم ولمّتْ شعثهم وهذّبت خلقهم وأخلصت نيّاتهم وطهّرت سرائرهم وأحسنت توكّلهم وثبتت أقدامهم وقربتهم من ربهم وضمنت لهم نعيم الدنيا والآخرة .. ذلك هو محمد الذى يذكره الكفار لما كشف من باطلهم . وأبان عن ضلالهم . وكسر من أصنامهم . وسفّه من أحلامهم . وقبّح من عاقبتهم . ولما أنذربه من عذابهم ، يوم مآبهم ... ذلك هو محمد الذى أُوحى إليه الكتاب الكريم والذكر الحكيم فقال الملحدون هذا من عند غير الله ثم تهافتوا على معارضته فضل سعيهم وأبانوا عن عجزهم . وبقيت حجته قائمة تدفع فى ظهورهم وتَفُتُّ فى أعضادهم حتى وَهَنُوا واستكانوا وأصبحوا صاغرين .. ذلك هو محمد الذى جَمع العرب فى كبريائها وقد تحاشتْها قديماً هِمَم الملوك العظام . وضم شتاتها ولم يكن لها يوما التئام . وألان من شماسها[1] وقد كانت شديدة العُرَام[2] .. ذلك هو محمد الذى كان المثل الأعلى على أن الهمة العظيمة لا تتكاءدها[3] الجبال الشُمّ

---

(١) الإباء (٢) الشراسة (٣) تصعب عليها

ولا تعييها الأراوى العُصّم[1]. لأنه ألّف من شتّى الأهواء هوى واحدا، واستعان فى حرب الرذيلة بمن كان لها مؤيّدا .. ذلك هو محمد الذى كرّمه الله فجعل دينه آخر الأديان وضم إليه من شريف المزايا ما جعله فى كل أجياله دين البداوة والحضارة. وهادى الأمية ومُعين العلم .. ذلك هو محمد الذى أُوذى فى سبيل الله فقال اللهم اغفر لقومى فأنهم لا يعلمون. وبُذل له المال وقِيد[2] إليه الملك فقال لا أنظر من دنياكم إلى ما تنظرون ، ولكنها كلمة حق أؤدّيها أو أهلكُ دونها فانظروا ماذا تفعلون. فكانت كلمة الله هى العليا وكان مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا. سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ.

(١) الأراوى جمع أروى وهو الوعل والعصم جمع أعصم وهو الممتنع بالجبل (٢) سيق

٣

رمضان في العتبة الخضراء

كنت فى العتبة الخضراء الساعة التاسعة صباحاً فإذا هى مائجة هائجة على عادتها فى المَوْج والهيجان . لم يغير رمضان شيئاً من مظاهرها ولا هدّأ ثائرة من ثائراتها .

فهذه مشارب القهوة كثر فيها الشاربون ، وهؤلاء سُقاتها غادون رائحون . وتلك مطاعم السمك والفول تَفعَم الأنوفَ رائحةُ توابلها وكوامخها . وهؤلاء باعة الفطائر والحلوى قد أغرَوْا الناس بما عرضوا فى زجاج محالّهم من كل مايهشّ تحت الأسنان ويذوب فى الأفواه . وهذا بائع الجبن واللحم القَديد[1] قد وقف أمامه مفطر ذهب فى الطول والعرض مذاهب بعيدة وبيده رغيف طويل من الخبز الرومى قد شقه نصفين وجعل يصفف فيه من شرائح القديد سَداة ولُحمة حتى صيره نسجاً محكماً وشبكة موثّقة . ثم هو قد أطبق الشقّين . وأعمل الشدّقين

هذه وتلك مظاهر لايختلف فيها يوم من رمضان عن مثله من شعبان أو شوال . فكأن هذا الجمهور العظيم من المسلمين فى مدينة القاهرة لم يستطيعوا أن يكون لهم من الأثر مايدل على أنهم يقيمون شعيرة من شعائر

---

(١) « البسطرمة »

دينهم ويؤدون فرض صيامهم . وهم لو أرادوا ذلك وحرصوا عليه لكان له مظهر أىّ مظهر

مابالنا نحس فى مدينتنا هذه كل مايكون من مظاهر العادات القومية وشعائر الديانات الأخرى مع أن أشياعها أقل منا عدداً . ألسنا نحس صيام إخواننا المسيحيين فنرى رُخْص أسعار السمك وكل ذى روح مدة صيامهم ؟ أو لسنا نرى مظهر شم النسيم فى ذلك البيض الذى قد تلون بألوان الطيف وامتلأت به حوانيت الباعة وأيدى الأطفال

لقد غلَوْتُ حين أنكرت مظهر رمضان . فإن له مظاهر كثيرة . أليس من أعجبها وأدلها على التناقض بين الأسباب ومسبباتها ارتفاعُ أسعار المآكل ونشاط أسواق الخُضَر واللحوم وانبعاث الحياة فى أصناف من المتاجر تظل فى كساد طول العام . أو ليس منها ذلك السُّبات العميق الذى يستولى على مصالح الحكومة فلا تَهُبّ من نومها إلا الساعة العاشرة صباحاً فى كل يوم ثم لا تلبث أن تتثاءب ساعتين أو ثلاثاً حتى تعود إلى ما كانت فيه من غطيط . أو ليس منها هؤلاء المتسوّلون الذين يملئون الطرق ويسدون عليك المسالك ويعترضونك بقولهم : رمضان كريم

٤

الصوم فى نظر الطب

أيها الأخ المفطر ! ! سأعظك اليوم ولكنى سأتحاشى أن أكون كخطباء المنابر أيام الجمع ، أو كعلماء الدين فى قولهم قال الله وقال الرسول . فقد طالما مَلِلْتَ هذا الأسلوب وصَدَفَتْ نفسك عنه

سأخاطبك باللهجة التى تأنس إلى حديثها . وتذعن لبراهينها . لأنى أعلم أن الذى أَصَمَّ أذنيك عن المواعظ الدينية كونها لم تأتك من طريق علمك الحديث ، ولم ترْوَ لك عن فلاسفة العصر وجبابرة الفكر ! ! بل استندتْ إلى الدين الذى لعلك تراه علة التأخر وعقبة الرقى . فما رأيك يا أخى ؟ إذا كان من أحدث الآراء فى الطب أن الإمساك عن الطعام يومين أو ثلاثة أيام كاملة من أنجع الوسائل فى علاج كثير من الأمراض وأقوى الوقايات من الوقوع فيها

ماذا تقول فى أن بعض ملوك العصر يلتزمون الحِمْية ثلاثة أيام متوالية فى فترات بين الزمن لا يتناولون فيها غير الماء القَراح ويرى لهم أطباؤهم أن ذلك ذريعة إلى النجاة من الهرم والتحفظ من كثير من الأدواء مثل السكر والأملاح والحمض فى البول والسمن

فماذا تقول إذا كان الدين الإسلامى قد جاء منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف بما هو أدخل فى الإمكان وأقرب إلى التحقيق من طبك الحديث ، فجعلنا نمسك نصف اليوم ونسترسل نصفه . أليس أمر دينك أقرب إلى التطبيق من أمر طبك ؟ ثم لعل فى غيب الطب رأياً جديداً يكون هو والدينُ الاسلامى على أتم اتفاق

٥

الصيام فى نظر الاجتماع

أيها الأخ المفطر . قد مضى لك قولنا فى الصيام وآراء الطب الحديثة فيه . ونحن محدثوك اليوم عن الصيام وعلاقته بالاجتماع ولزومه لكل عضو من هذه الأسرة الأنسانية

أليس من لوازم الاجتماع أن تكون مستعداً لتلبية نداء الوطن فتتقدم للدفاع عنه وتشمّر لحمايته ، أو أن تكون من رجال الأعمال فتكون مثلا رحّالة تَطْوى المجاهل وتُمْعِن فى المفاوز لتكشف لقومك عن كنز من كنوز الأرض أو تجد لهم فيها مُراغَماً [1] يرفّه عنهم من ضيقهم ويوسّع عليهم فى رزقهم . وهل يتم لك شىء من شرف الدفاع عن الوطن أو طلب الخير له إلا بجلادة النفس ورباطة الجأش ووعورة الخلق ؟ ثم انظر هل يتم شىء من هذه لمن لم يأخذ نفسه بكبح جماحها ونَهْنَهَة [2] رغباتها والثبات على مجاذباتها . ثم ارجع البصر هل تقوى على شىء من تلك إذا لم تحاوله فى لقمة تستطيبها ، أو جُرعة تستعذبها

أو ليس من لوازم الاجتماع أن تستشعر الرحمة للفقير فتواسيه بالرَّضيخة [3] من مالك ، واللقمة من طعامك ، والهِدْم من ثيابك ؛ وأنَّى لك أن تشعر بشعوره ؟ أو تبكى بدموعه ، أو تتأذى لجوعه . إذا لم تعالج حالاته ولم تشك مثل عِلاّته

---

(١) مكان مهجرة (٢) زجر (٣) العطية

إن الطبيب ليعرف وصف الداء ، ويقرأ أثر الدواء ، ولكنه لايحس وخز الألم ، ولا وقع السَّقَم . ولا يستلذ بيب الشفاء ، فى الأعضاء . وإنما هى ألفاظ مرّتْ بأذنه ثم جرت على لسانه . فهو إن اتفق له أن يمرض بمرض درسه عوداً على بدء دراسة عاطفة وأحس به إحساس وِجدان . . . فليس من سبيل لعطف الواجد على المُعْدم [1] إلا أن يُوَسم بميسمه ، ويتألم كتألمه ، فحين ذاك نرى أخوين قد عطفتهما الأواصر [2] ، وانعقدت منهما الخناصر وفى ذلك غاية الغايات من كل نظام سماوىّ أوأرضىّ

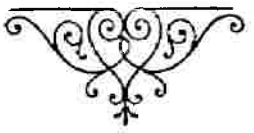

(١) الواجد الغنى والمعدم الفقير (٢) جمع آصرة وهى رابطة القرب

٦

سماحة الإسلام

إن الإسلام جلالا فى قلبى تزيده تلك الهَوَادة التى يأخذ بها معتنقيه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) . ولقد حرّك هذه الرَّوْعة التى له فى قلبى منظر حسن رأيته من (فاعل) وقف فى فِناء بيت تُرفع قواعده بين الأحجار والرمال . وعليه أهدامه التى يشتغل فيها ولا تكاد تخفى مِزَقها من أطرافه شيئا — فى هذا الحال وعلى ذلك الأديم من الأرض وقف هذا العامل بين يدى ربه يصلى . فما كان أجل المظهرَ وما أدله على سماحة ذلك الدين الحنيف

تلك صلاة صحيحة لا يفسدها وقوف المصلى على الصعيد لقوله عليه السلام (جُعلت لى الأرض مسجداً وطَهوراً) ولا يقدح فيها ذلك الرأس العارى ، والثوب البالى . لأن المصلى قد التزم ستر ركبتيه إلى سرته

فيأيها المتحرّجون الموسوِسون الذين يتوضئون بقربة ماء ، ويكبّرون لصلاة الصبح إلى المساء . ويشمّرون فى مشيهم الثوب ، ويحرقون ما وقع عليه ظل الكلب . ويا من رأيكم فى المصافحة أن لامَساس ، ونجاسة كل شىء عندكم هى الأساس . ويا من علّقتم المسابح ، وذكرتم الله فِعلَ النابح

ويامن قطعتم عمركم فى الأوراد ، تتلونها فى الإصدار والإيراد . يا هؤلاء هَوْنًا هَوْنًا لا تَضْنُوا جسداً ولا تُمْرِهوا [1] عيناً فإن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق أولم يبلغكم حديث رسول الله :

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبلا ممدوداً بين ساريتين من سوارى المسجد . قال . ما هذا الحبل ؟ قالوا . يا رسول الله فلانة تصلى ماعَقَلَتْ فإذا غُلِبَتْ أَخَذَتْ به . قال . فلتصلِّ ماعقلت فإذا غلبت فلتنم . صدق ورَفَقَ رسول الله

(١) مرهت العين ابيضت بواطن أجفانها وقد يكون من كثرة البكاء

٧

سماحة الإسلام أيضا

فى صيف سنة ١٩٢٥ كان لى الشرف بإلقاء بعض الدروس الليلية على جماعة من أفاضل العلماء الذين قبلوا الاشتغال بالتعليم الأولىّ . وقد جرى بيننا إذ ذاك ما يصح أن يكون للقارئ درسا فى الدين نافعا

اتفق أنى دخلت حجرة الدراسة بعد غروب الشمس فاسترعى بصرى خلو كثير من المقاعد فلم أبدأ الدرس . وبعد وقت حضر المتخلفون يتسللون فلما استتم جمعهم سألت عن سبب التخلف فتصدى للرد أحدهم قائلا : كنا نصلى المغرب . قلت لكنكم فوّتم وقتا من الدرس وعطّلتم النظام . قال : وما ذاك فى جنب أداء الفريضة . قلت : أليس خوف فوات الدرس عذراً ؟ قال : لم يذكر الفقهاء من الأعذار إلا النوم والسهو . قلت : لعل ذلك على سبيل المثال . قال : هذا حصر لا يتعدى العذرين . قلت : إن لولى الأمر طاعة واتباعُ النظام من طاعته . . . ثم أقفلت باب المناقشة عاجزاً عن إقناع محاورى الفاضل

أما أنت أيها القارئ فإنى أستطيع إقناعك بأن الأعذار لا حد لها وأن منها اتباعَ النظام واشتغال الطبيب بإسعاف مريض أو إجراء عملية جراحية أو انصراف خطيب إلى إفادة سامعيه أو حضور طالب العلم درسه

أو خوفَ فوات القطار أو الانهماكَ فى إطفاء حريق أو كلَّ ما تقيد به المرء وكان فى ذاته خيراً ، وتوقع من إهماله خُسْراً أو ضيراً .

ولعل عذرَىْ السهو والنوم ليسا شيئا بجانب ما ذكرناه من الأمثلة بل إنهما عند تمحيص الرأى يكونان فى بعض الأحوال أدخل فى باب الكسل وأشبهَ أن يكون على المعتذر بهما كلُّ الوِزْر .

وبعد فاعلموا أيها المسلمون أن الله تعالى يقول (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)

٨

فى سيدنا الحسين

صلّيتُ الجمعة الماضية بهذا المسجد الطاهر ثم أخذت أطوف ببعض أنحائه فإذا فى كل ناحية واعظ قد استدار به جماعة من المستمعين وهو يقرأ من كتاب بيده ما يزعم أنه أحاديث عن النبي أو أخبار للصالحين أو بيان لفضل رمضان أو وصفٌ لليلة القدر ، أو ذكرٌ لأهوال الحشر وعذاب القبر .

فوقفت أستمع إلى أحدهم فإذا هو يقول والقوم سكوت كأن على رءوسهم الطير : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صلى علىّ يوم الجمعة مائة مرة غُفرتْ له خطيئة ثمانين سنةً . وروى عنه أنه قال : من صلى علىّ صلاة تعظيما لحق خلق الله عزّ وجلّ من ذلك القول مَلَكا له جَناح بالمشرق وآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الأرض السابعة وعنقه ملتوية تحت العرش يقول له الله عز وجل صل على عبدى كما صلى على نبي فما يزال يصلى عليه إلى يوم القيامة . . . فتركته والقوم يترنّحون [١] لهذه الصفّقات الرابحة ويعجّون [٢] بالصلاة على النبي حتى يتحقق لهم ما حدثهم به واعظهم

ثم غادرته إلى آخر يذكر فى شأن ليلة القدر ما حدثتنا به قديماً عجائز بيوتنا إلى جانب قصة الشاطر محمد والشاطر حسن ! !

ثم انتهيت إلى ثالث يذكر من عذاب القبر أمرا عجيبا يدعى أنه قد

---

(١) يتمايلون (٢) يرفعون أصواتهم .

حدّثه به ثِقَة لا يكذب . قال : إنه كان بقريتهم بخيل لا يؤدى الزكاة فمات . ثم فتحوا قبره بعد أيام لدفن آخر فرأوا رأىَ العين حُفَرَ النار والمكاوى وقطع النقود مُحماة قد كُويت بها أضلعه وجبهته . يذكر ذلك ويجعله مصداقا لقوله تعالى (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ)

وقفت عند هذه الغاية . ثم توجهت إلى القبلة ودعوت الله أن يرسل صاعقة تحرق هذه الكتب وتمحو هذه التُّرَّهات من تلك العقول الضالة حتى يعود الإسلام كما بدأ جميل الوجه أبيض الصحيفة

٩

فى سيدنا الحسين أيضا

بعد أن انتهيت من تطوافى الذى عرفتَ شأنه فى الكلمة السابقة دخلت القبة لزيارة القبر الشريف فقرأت الفاتحة ودعوت بما تعوّدت الدعاء به فى مثل هذا المكان الطاهر ، ثم عرّجت على مقصورة (المخلّفات) فإذا فى حائط من حيطانها خلف زجاج شفاف وتحت سندُس مُوَشّى بالذهب قد حلّت هذه الآثار المباركة . وقد مُدَّ فى صدر المكان مما يلى تلك الآثار نَضَدٌ مستطيل كُسِى بالجوخ الأخضر وجلس وراءه رجل من سَدَنة المسجد رَبْع القامة كبير الوجه أبيضه أسود اللحية شائعها قد تلفع بعَباء وقبض على مِقْرعة يشير بها إلى المخلفات ويقول : مصحف بخط سيدنا عثمان — مصحف بخط سيدنا على — قميص النبى بعرقه مثل المسك — المُكْحُلَة والمِرْوَد — ثلاثَ عشرةَ شعرة من شعره الشريف — قطعة من العصا التى تشرفت بيده الشريفة . ويسكت هنيهة ثم يقول : وسّعوا علينا بحق النبى — الذى له عادة يدفعها بحق النبى — كله فى حب النبى مخلوف — « بعوده » ... فتتابع الواقفون ينفَحونه بما شاء لهم كرمهم وسمحت به مقدرتهم . أما أنا فقد انتحيت ناحية حيث لا يرانى وانتظرت حتى صرف الواقفين بإلحاح شديد ثم استقبل طائفة أخرى فتلا عليهم ما نقلته لك بنصه وفصه .

وبعد ، فما هكذا يفعل بآثار النبوة ! ولا بتلك الوسائل يُستحلّ

الكسب ، ولا يجمل بوزارة الأوقاف أن تبيح لهؤلاء الوادعين من خدمة قبور الأولياء أن يملئوا أيديهم من جيوب الزوّار . وإننا لنعتقد أن لهم من رواتبهم وأنصبتهم فى صناديق الصدقات مايجعلهم ملوكا فى زىّ سُوقَة وأسياداً فى مظاهر خدّام . إنهم قد بَشِموا [1] واتسعت كروشهم ، وامتلأت بالسمن أجسامهم ، وطَفَحَتْ بالدَّعَة وخلو البال وجوههم ، وقست على غير المتصدقين عليهم ألفاظهم وعِصِيّهم ، فهم فيما يتخيلون وتَخال من دَلّهم وشكلهم يَعتبرون هذه المزارات ضِياعهم المُغِلّة ، وهؤلاء الزائرين جُبَاتهم الأشقياء . فلتنظر وزارة الأوقاف فإن استطاعت أن تَحْرِم هؤلاء من أعْطِياتهم فى الصدقات وأن تصرف محاصيل تلك الصناديق فى وجوه من البرّ فقد استطاعت أن تصلح من نفوسهم وتعدل بينهم وبين خدمة المساجد الأخرى .

أما تلك الشحاذة باسم الأولياء ومخلّفات الأنبياء فهى مانرى وزارة الأوقاف فى حِلّ من الإسراع بمنعه .

---

(١) أتخموا

١٠

يسيئون إلى الدين

أرى فى القلم نزوعاً إلى التعجيل بسرد ألفاظ السب والتجهيل لذلك الرجل الذى لم يعرف القارئ قصته بعدُ . فمهلا أيها القلم حتى نقدّمه إلى القراء ثم صُبَّ عليه ما شئت من سب ولعن .

رَوَى لى زميلى الفاضل الدكتور أبو زيد الحناوىّ وهو مَن لا أقدَح فى صدقه . ولا أتّهم دُعابته بالعدوان على الحقائق . قال : دخلت دار الكتب فى يوم من هذا الأسبوع فالتقيت بإيطالى — كنت عرفته بإيطاليا — ومعه زوجه . فدار بيننا من الحديث ما يدور بين الإخوان إذا التقوا بعد فرقة ، وفيما نحن فى حديثنا إذ أقبل مطربش ظهر من حاله أنه كان معهما منذ حين ثم جاء لوداعهما ، فسلّم على الإيطالى بيده ثم وضعها فى جيب ردائه وقدمها للسيدة للمصافحة معتذراً بأنه متوضئ ! ! فتزايلتْ السيدة فى مكانها ثم ثبتت حائرة فى أمر هذا الإنسان الذى انقلب نِسْناسا ، والعاقل الذى آض مهووسا ، والريّض [1] الذى غدا شَمُوسا [2] . ولا تسل عما اختلج فى نفسها إذ ذاك عن هذا المصرىّ المسلم ، بل عن المصريين جميعاً والمسلمين أجمعين . فقد عوّدَنا هؤلاء الأوربيون أن يأخذوا الأمة بجريرة واحد منها . وأن يرسلوا أعنّة الخيال فيما يكون ولا يكون من فَعلة واحدة يشاهدونها .

أما أنت أيها المتوضئ يا صاحب السماجة والفَدامة [3] . ويا رب الثِّقَل

---

(١) السهل القياد (٢) ضد الريض (٣) ثقل الظل مع العى فى الكلام

والبَرَد . ويا دولة الجَهامة والشَناءة [1] ويا أشأم على دينك من البسوس ، وأنخر فى عظامه من السوس ؛ فقد أسأت وامتهنت شعائر دينك حين جعلتها سخرية لمن لم يقفوا على كُنهها ولم يتذوَّقوا حكمتها . على أنى لا أستطيع أن أصفك بالتمسك بأهداب الدين ، وإلا فما الذى وَقَفك مع هذه الأجنبية سافرة الوجه وأسمعك صوتها . لقد كان من الممكن أن تتم حلقة المنهيات وتتبع مألوف العادة فتسلّم عليها بيدك ثم تتوضأ ، على أنك لو كنت تفقَّهت فى الدين لعرفت أن تجديد الوضوء مستحب لكل صلاة

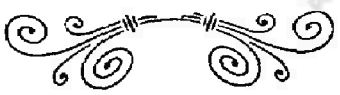

(١) الجهامة والشناءة القبح